السر الخطير

تأليف: مهدي رحيمي
ترجمة: احمد الموسوي
رسوم: مجيد قادري

قسم الأطفال والناشئين في مؤسسة البعثة

مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة

اسم الكتاب: السر الخطير (من سلسلة مع المعصومين ـ بالاعتماد على نبذة من حياة الإمام العسكري(ع)

المؤلف: مهدي رحيمي

المترجم: أحمد موسوي

الرسام: مجيد قادري

إعداد: قسم الأطفال والناشئين في مؤسسة البعثة

الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ. ق ـ ١٩٩٣م

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

العنوان: طهران ـ شارع سمية ـ رقم ١٠٩

هاتف: ٨٨٢٢٢٤٤ ـ فاكس: ٨٨٢١٣٧٠ (٠٢١)

تلكس: BSAT.IR ٢١٢٠٨٠ ـ صندوق بريد: ١٣٦١ ـ ١٥٨١٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ عدة أيام والإمام العسكري يُلازم فراش المرض . الجواسيس يطوّقون منزله من كل جانب وقد أحكموا الحصار حوله. في هذه الأثناء كان خبر مرض الإمام(ع) قد انتشر بين النـاس. كلهم كانوا يعرفون أن رجال السلطة قد دَسوا إليه السم. غير أن أحداً لا يستطيع التحـدث خوفـاً من رجال الخليفة وجنوده. الجميع كانوا يسألوننا عن صحة الإمام بمجرد أن يلمحونا نمرُّ في الشارع أو السوق. وفي كل مرة كانوا يتوجهون إلى الباري عزَّ وجل بالدعاء لشفاء الإمام.

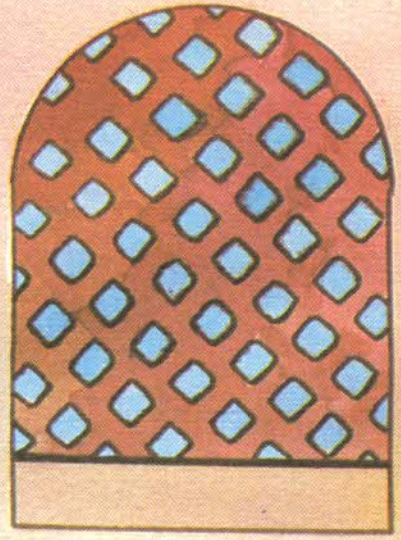

كنت أُحس في أعماق نفسي أن الإمام يقضي الأيام الأخيرة من عمره الشريف. لقد أقلقني هذا الشعور وسلب راحتي إلى الحد الذي جعلني أُشرف على الجنون، إنني لواثق من أن أياماً مظلمة صعبة أخذت تقترب... أياماً لن نستطيع بعدها بهذه السهولة أن نصل بالإمام... لكن

ما في اليد حيلة.. إني لا أعرف ماذا ينبغي عليَّ أن أفعل. كنت أتمنى أن يبقى الإمام دائماً في صحة جيدةووضع طبيعي لأكون في خدمتهحاضرا لتنفيذ أوامره و حالا.

«كان الإمام الحسن العسكري(ع) قداستدعاني قبل إسبوع وقال: عُقيد! إذهب إلى بيت «أبو الأديان» وآدعُهُ للحضور هنا فوراً».

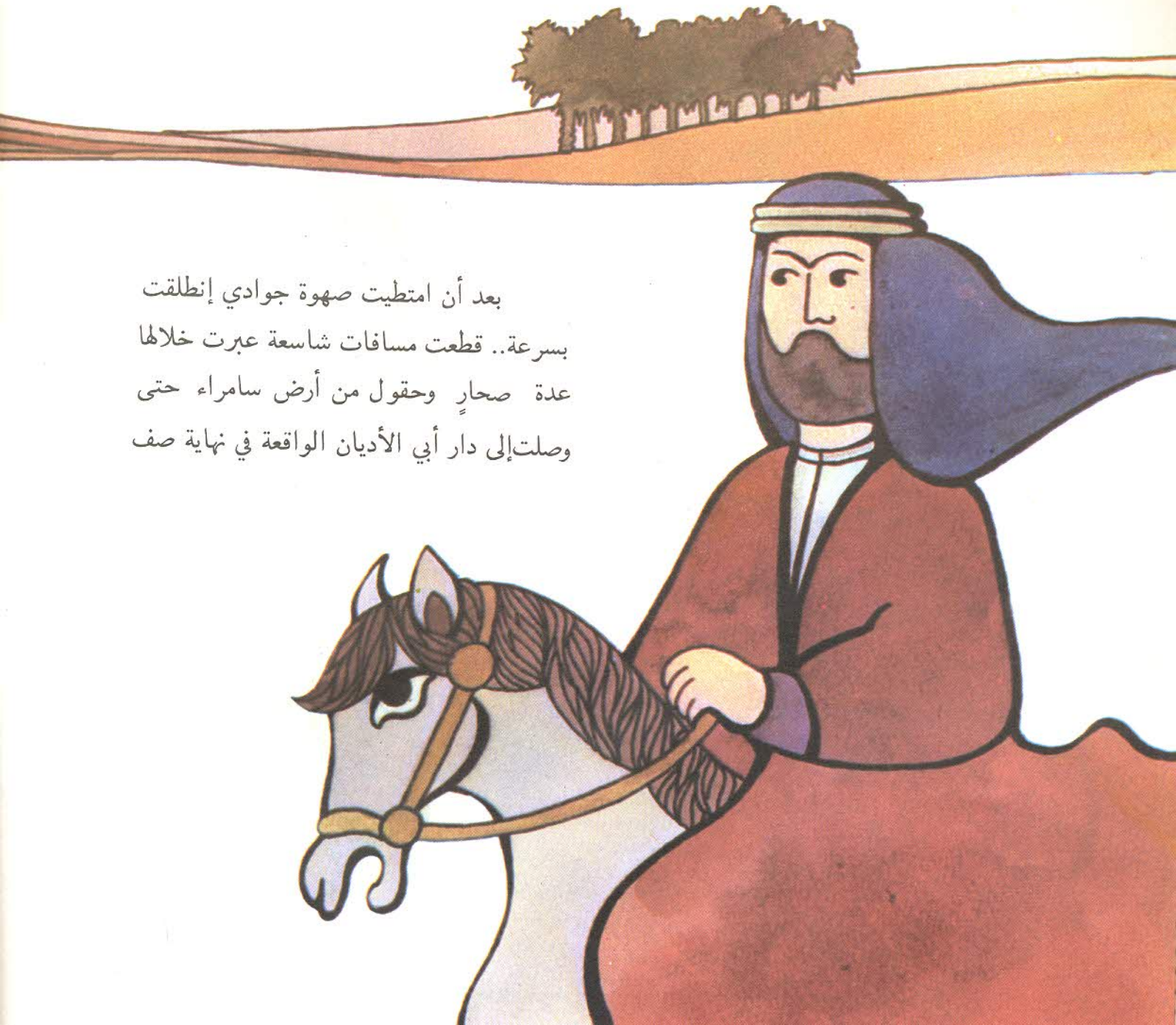

بعد أن امتطيت صهوة جوادي إنطلقت
بسرعة.. قطعت مسافات شاسعة عبرت خلالها
عدة صحارٍ وحقول من أرض سامراء حتى
وصلت إلى دار أبي الأديان الواقعة في نهاية صف

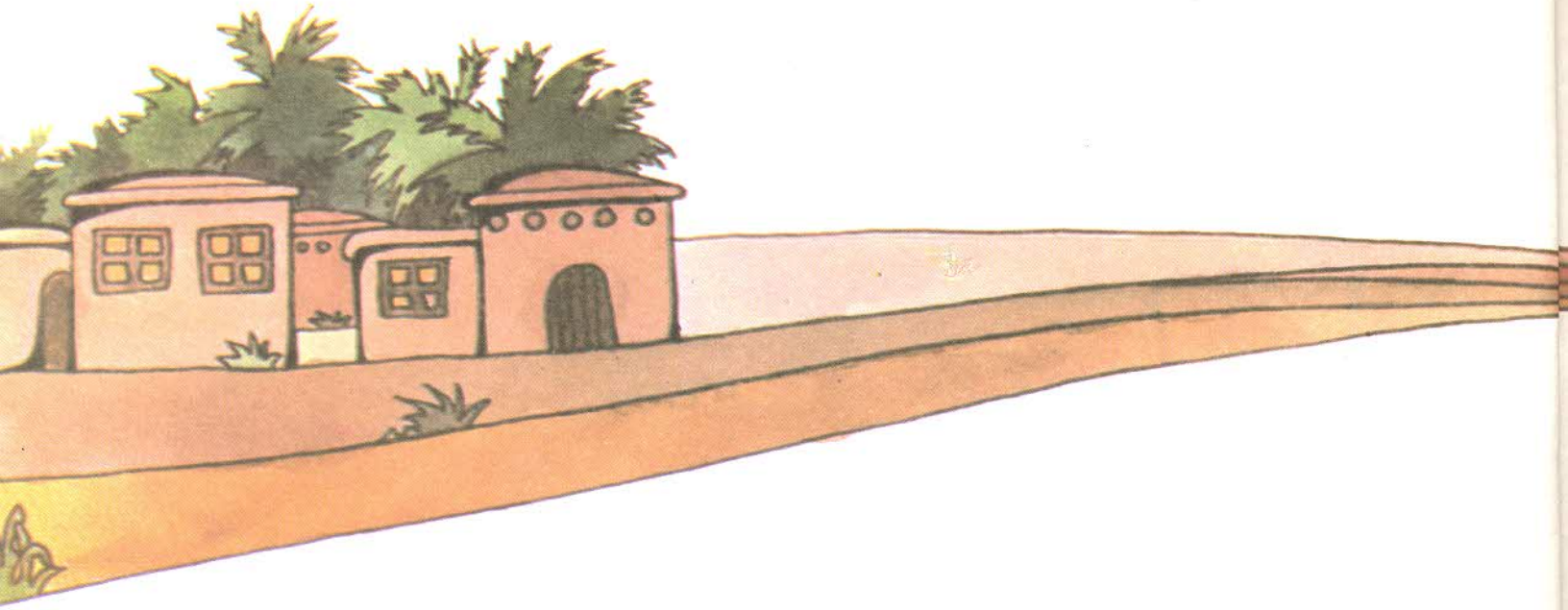

من النخيل. كان يساول طعام الإفطار. بعد أن ألقيت عليه السلام أبلغته دعوة الإمام له بحضور... ألقى باللقمة التي كانت في يده على المائدة ونهض. ذهب ليغير ملابسه ثم جاء وركب جواده واتخذ طريقه مسرعاً.

كان الإمام ينتظره في الدار.. سلم أبو الأديان على الإمام وقبَّل يده. أخرج الإمام عدة

رسائل وسلمها إياه. كان على أبي الأديان أن يذهب بهذه الرسائل إلى المدائن ويعود بالجواب.

تناول أبو الأديان الرسائل، ثم قبلها ومررها على رأسه إكراماً لها وإجلالاً. كان الإمام يثق به كثيراً ويتخذ منه أميناً لأسراره ومهماته الخطيرة. وكان ينتدبه دائماً لحمل الرسائل الخطيرة إلى أصحابها.

رمقه الإمام بنظرة... كانت عيناه مغروقتين بالدموع وخاطبه قائلاً: «أنت نِعم الصديق، لذا أود أن أُخبرك بشيء».

ثم سكت الإمام بُرهة قبل أن يواصل كلامه قائلًا: «سيستغرق سفرك خمسة عشر يوماً وحين تعود سوف لا تجدني بينكم».

أجهش أبو الأديان بالبُكاء. وجثا من حيث لا يشعر بين يدي الإمام ثم تناول يده وأخذ يقبِّلها مرات عديدة حتى ابتلَّت يد الإمام بدموع أبي الأديان.

سحب الإمام يده ومسح بلطف على رأس أبي الأديان.

وهنا سأل أبو الأديان الإمام قائلًا: سيدي ماذا يجب أن نفعل نحن الآن؟

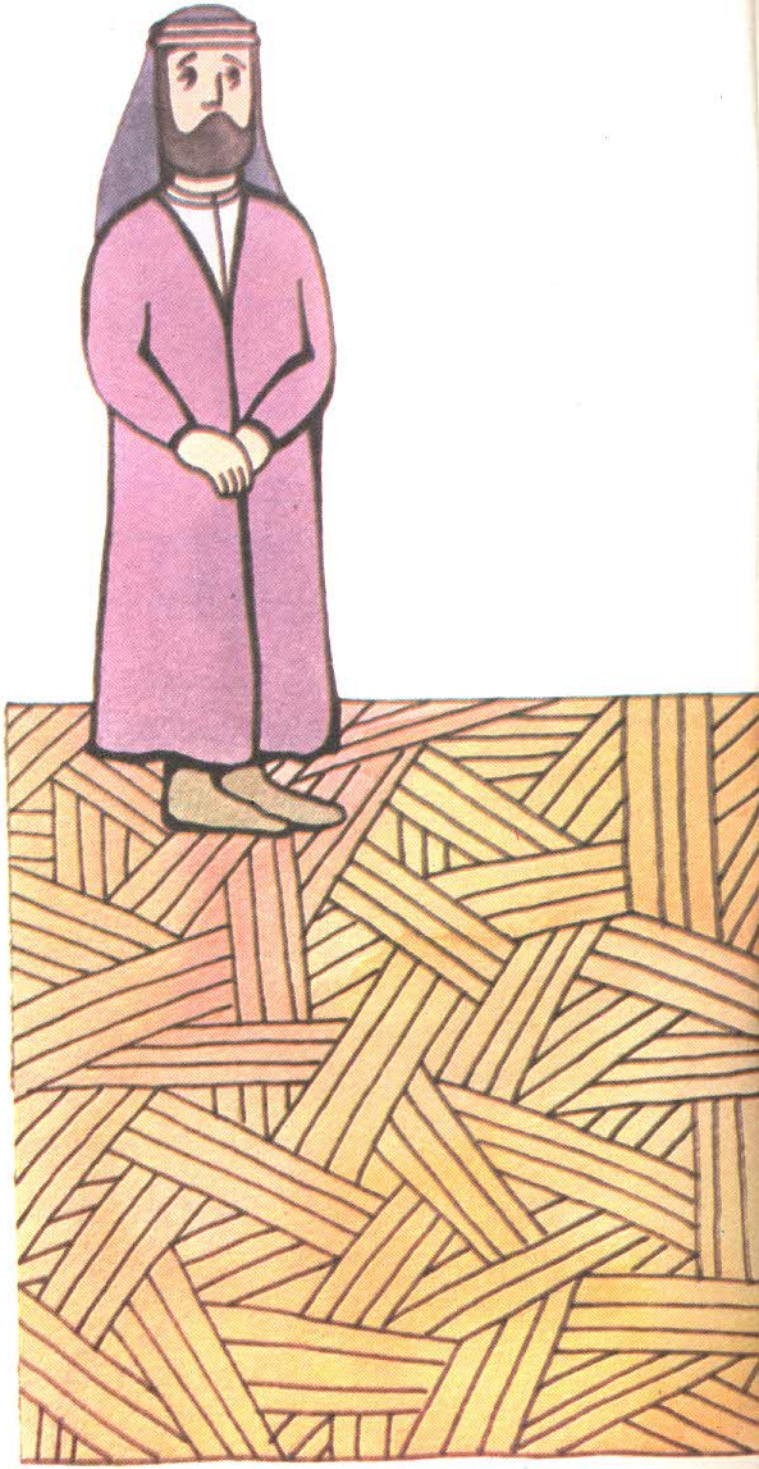

أجابه الإمام: اصبروا وتحملوا الصعاب في سبيل الله، عاد الهدوء رويداً رويداً إلى أبي الأديان وتوقف عن البكاء ليسأله مرةأخرى قائلاً: كيف سنهتدي بعدك إلى الإمام المهدي الموعود ونتعرف عليه؟

ابتسم الإمام ابتسامة عريضة حتى بانتأسنانهالناصعةالبياضفي ثغره الكريم وقال: «يمكنكم أن تهتدوا إلى المهدي الموعود وتتعرفوا عليه بطرق ثلاثة.

الأول: من أنه سيصلي عليّ.

الثاني: إنه سيُطالبك بجواب هذه الرسائل.

الثالث: من خلال إخباره عما في داخل الهميان الذي سيجلب إليّ».

بعد اسبوع من سفر (أبي الأديان) تغيَّر حال الإمام فجأة وإشتد به المرض فأصبح طريح الفراش.

كنت إلى جانب الإمام حينما طُرق الباب وفتحه أحد الغلمان ليدخل الوزير مع عدد من مُرافقيه.. بعد أن قبَّل يد الإمام جلس عند قدميه.. بدأ حديثه قائلاً: عندما وصلني خبر مرضك ذهبت إلى الخليفة وقدمت له تقريراً عن وضعك الصحي، فأصدر الخليفة أوامره فوراً إلى خمسة من أشهر الأطباء بضرورة التوجه إلى خدمتك والقيام بمداواتك.. ستتماثل إلى الشفاء قريباً إن شاء الله.

بعد ذلك قدَّم الوزير الأطباء الخمسة وأمرهم بالبقاء في البيت ثم قدم اعتذاره بأدب وٱنصرف. وهنا فهمت انا الدسيسة وكنت قد أيقنت أن الحكومة العباسية وضعت للإمام السم. وإلا فانه لا يمكن تصور اطلاع الوزير على وضع الإمام وحالته الصحية بهذه السرعة.

كنت أعرف بعض هؤلاء الأطباء. وكانوا ماهرين حقاً غير أنهم يعملون في خدمة الخليفة ولا يعصون له أمراً ويفعلون ما يؤمرون. لهذا كنت أشك فيهم كثيراً. أخذ وضع الإمام يزداد تدهوراً يوماً بعد يوم. لقد ضعف جسم الإمام الذي كان يتمتع بصحة جيدة وصار نحيفاً وشاحباً إلى حد لا يصدق. بعد خمسة أيام جاء الوزير لعيادة الإمام مرّة ثانية، وعندما كان يقبل يده تساءل قائلاً: يا إلهي إلى أي مدىً ضعف بدنك وشحب لونك؟

همس أحد الأطباء في أذن الوزير قائلاً: وضعه سيء جداً ولا أعتقد أنه سيبقى في هذه الدنيا أكثر من أيام معدودات.

أمرهم الوزير بضرورة البقاء في البيت وتزويده بالتقارير عن كل شيء.

كنت قد سمعت حديثهم بصعوبة بالغة وأخبرت الإمام به. كان الإمام(ع) على علم تام بكل شيء.

بعد مُضي عدة ساعات دخل قاضي المدينة مع جمع من الأشراف يرافقهم عدد من الجنود.. سلم القاضي على الإمام وسأله عن وضعه الصحي وقال: لقد أمر الخليفة أن يُرابط هؤلاء الجنود هنا لحراستك.

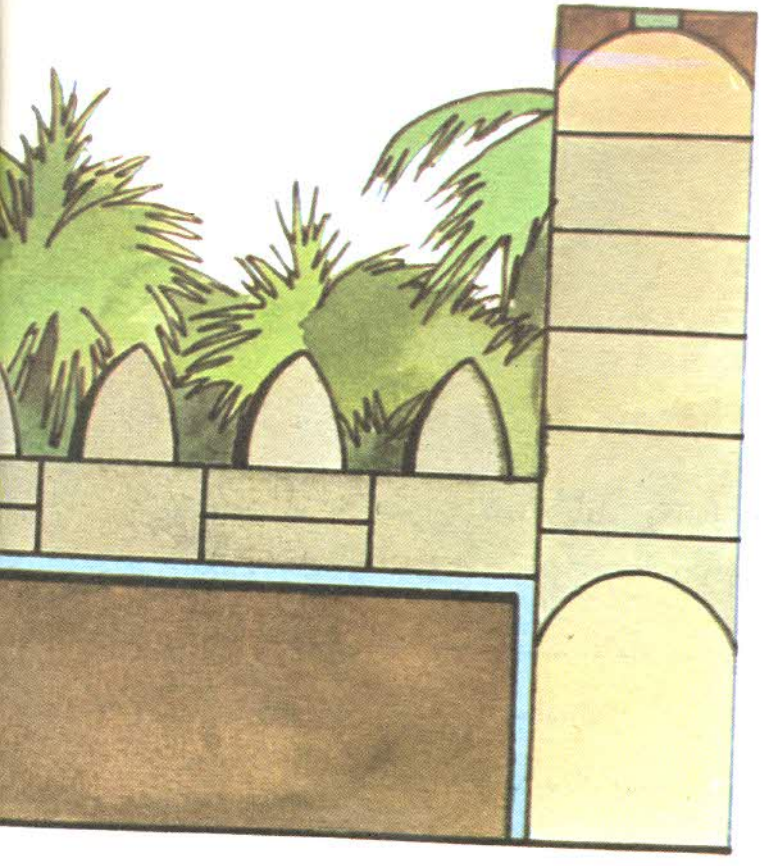

لقد استسلمنا لإرادة الله طبقاً لوصايا الإمام(ع) وتأكيداته وسكتنا ونحن نرى ألاعيب رجال الدولة العباسية ومكرهم بأُم أعيننا.. كم كانت صعبة وعصيبة تلك الأيام. كنا نعيش تحت مراقبة هؤلاء الجنود الشديدة تلاحقنا عيونهم في كل مكان.

كم كنت حاقداً على الخليفة وغاضباً عليه. إنه كان ينظر إلى الإمام على أنه خطر كبير يهدد سلطانه. ولهذا كان قد اعتقله ووضعه في السجن مرات عديدة.

وضع الإمام مرة في سجن «وصيف».. ثم أمر الحراس أن يراقبوا تصرفاته بدقة

ويقظة وحثهم على إيذائه وإزعاجه بكل وسيلة.. لقد أثر سلوك الإمام الرباني تأثيراً بالغاً على الحراس والسجناء في ذلك السجن.. وبلغ تأثير الإمام(ع) حداً أن شعر به «وصيف» صاحب السجن الذي كان يمتاز بغلظة قلبه وخُلوه من الرحمة والعطف. ذهب «وصيف» إلى الخليفة وأخبره بتأثر حراسه بالإمام وأبدى غضبه الشديد عليهم وقال إنهم آمنوا بالإمام حتى أصبحوا من المصلين المخلصين وأضاف يقول: إنه إذا ما بقي الإمام في هذا السجن فإنه سيغير جميع السجانين ويحولهم إلى أعداء للخليفة... إضطرب الخليفة لهذه التطورات كثيراً، الأمر الذي دفعه إلى إصدار أوامره بالإفراج عن الإمام.

وقد نقل هذا الخبر فيما بعد إلى الإمام عن طريق أحد الشيعة الذين كانوا عند الخليفة في حينها.

كان الجواسيس والجنود يجوبون أنحاء المدينة. إنهم كانواعلى علم بأن «المهدي الموعود» إبن الإمام الحسن العسكري سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً وسيقضي على الظلم والظالمين. كان الأطباء على أهبة الاستعداد أما القوابل اللائي كن يتولين توليد الحوامل فقد كنَّ يذهبن يومياً لمعاينة أزواج الإمام لمعرفة ما إذا كنَّ حاملات أو حتى يخبرن الخليفة بكل شيء حول ذلك السر

الكبير. ولكن الله غالب على أمره ومتم نوره.

كانت صحة الإمام في الليلة الثامنة من الشهر قدتدهورت كثيراً وبدا أكثر ترديا من أي وقت مضى. وبدأنا نشعر بأن الإمام يستعد للرحيل عن هذه الدنيا عما قريب.

استدعاني الإمام (ع) فاقتربت منه بهدوء تام ودون أن يشعر بي أحد. الجنود جميعاً كانوا يغطون في نوم عميق أمرني أن أغلق الباب.. بعدها طلب قلماً وقرطاساً ليكتب رسائل إلى الشيعة في المدن المختلفة. كان الإمام يتحدث بصوت منخفض حتى أكاد لا أسمعه إلا بصعوبة وكنت أكتب ما يملي عليَّ.

لقد كانت رسالة الإمام إلى الشيعة في «المدينة» كما يلي: «... أدعوكم أيها الشيعة إلى تقوى الله والجهاد في سبيله، وأن تكونوا من الصادقين المخلصين. وأن تردوا الامانات إلى أهلها سواء كانوا من الصالحين أو العاصين المذنبين. أقيموا صلاتكم بدقة وأناة وأطيلوا السجود. عاملوا جيرانكم بإحسان. وعاشروا الناس بلطف وإحسان.. إذا فعلتم ذلك فسيقول الناس فيكم هؤلاء شيعة أهل البيت حقاً إن ذلك سيفرحنا ويدخل السرور إلى قلوبنا لأن التقوى مبعث افتخار الأمة وعزتها، فاسعوا لأن تكونوا سببا لإفتخارنا لا مبعثاً لخجلنا وعاراً علينا. إجعلوا الناس معنا

بحسن معاشرتكم وحبكم لهم وإبتعدوا عن أن تنسبوا الينا ما لا يُقبل.. نحن أهل بيت رسول الله.. نص القرآن على عصمتنا بل حصرهـا فينا وكل من ادعاها غيرنا فهو كافر كذاب».

بعد ذلك قدَّمت إلى الإمام شيئاً من الدواء.. وحينها لم يكن في الغرفة مع الإمام سوى ثلاثة: نرجس خاتون ـ زوجة الإمام وأم (المهدي) ـ والمهدي الموعود الذي كان له من العمر خمس سنوات، وأنا غلامه وحافظ سره وموضع ثقته.

وفي ذلك الوقت كان صوت الأذان يرتفع من مآذن المسجد ويملأ سماء المدينة التي بدت سوداء لكثرة الغبار والتراب. أعاد لي الإمام قدح الدواء ليتفرغ لأداء صلاة الصبح.

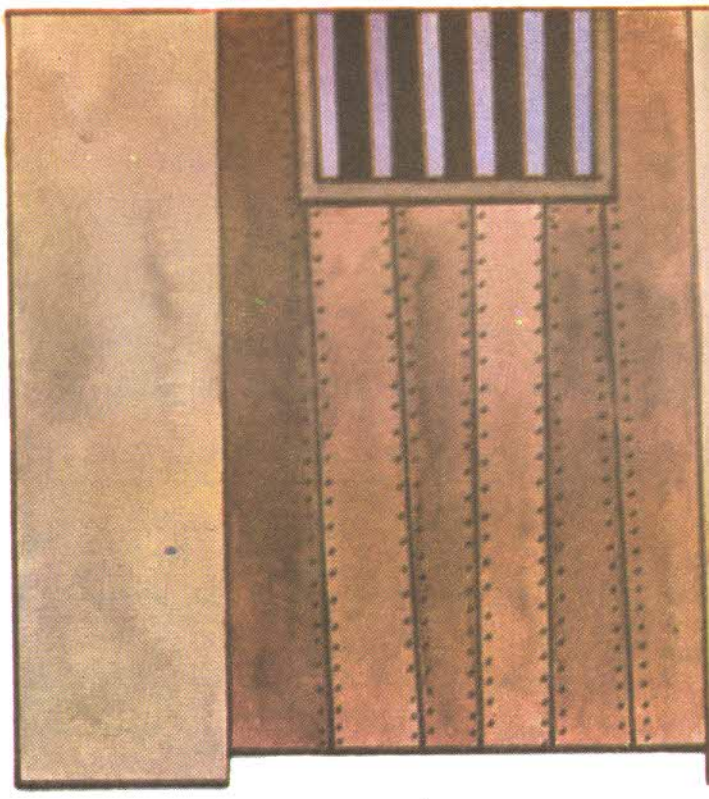

أحضرت قطعة من القماش ووضعتها على رجليه ليتسنى له إسباغ الوضوء.

كان لا يقوى على النهوض فقد أدى صلاته وهو جالس بعد ذلك عاد الإمام فتناول قدح الدواء وقربه من فمه غير أنه كان يصطك بأسنانه نتيجة لارتعاش يده.

بادرت «نرجس خاتون» لتأخذ القدح من يده وفي هذه اللحظة فاضت روح الإمام الطاهرة وذهب ذلك الإنسان العظيم للقاء ربه.

تعالى صوت البكاء من داخل الغُرف. فتح الجنود الباب ودخلوا لكن لم يكن هناك ما يدل على المهدي الموعود إذ لا أثر له أبداً. ووصل الخبر إلى أسماعِ الخليفة ووزيره. بعد فترة دخل البيت «جعفر» أخو الإمام وهو مرعوب بدت عليه آثار النوم. تنفس الصعداء عندما نظر إلى جسد الإمام الطاهر وهو ممدد على الأرض. وفي الوقت الذي وضع وجهه بين يديه طلب مني أن أنقل الجسد إلى فناء الدار وأقوم بتغسيله وتكفينه.

كان «جعفر» رجلاً فاسداً يرتكب المعاصي ويتجاهر بالمنكرات.. له علاقة حميمة بالخليفة ووزيره وكان مطيعاً لهما لا يخرج عن إرادتهما. ولم أكن أنا وحدي مستاءً منه غاضباً عليه بل كان الشيعة كلهم يُكنّون له البغض وعدم الارتياح ويحرصون على الابتعاد عنه. ورغم سعي الإمام الحثيث لتوجيهه وإرشاده إلى طريق الهداية وجادة الصواب فإنه ظلَّ دائماً يُفضل الإنحراف ويصر على الباطل والضلال.

كان جعفر يسعى لانتهاز الفرصة وتقديم نفسه خليفة للإمام العسكري. لهذا كان يريد الصلاة على الإمام إذ لا يحق لأحد (حسب الأمر الإلهي) الصلاة على جثمان الإمام الا خليفته الحقيقي.

كنت على يقين تام من أن الله سيفضح «جعفر» قطعاً. غير أن ذلك لم يطفيء نار غضبي، وظل صدري يغلي عليه حقداً وحُنقاً. كان يتملكني إحساس شديدمن أن شيئاً ما سوف يقع لكن لا أعرف بالضبط ما هو الشيء أو الحادثة التي سوف تقع.

نقلت جُثمان الإمام إلى فناء الدار. كانت تلك الليلة ليلة مظلمة اكتست السماء خلالها بالسواد تماماً. كان القمر قد اختفى وراء قطع الغيوم الداكنة.ما يزال البكاء يسمع من داخل الدار. ما زال الجنود يراقبون الوضع عن كثب وهم ينتظرون ذلك «السر العظيم». أخذ الظلام

يتبدد قليلاً وبدأ الصبح يسفر شيئاً فشيئاً. ومع أول بزوغ الفجر بدأ بعض أصحاب الإمام وشيعته الذين سمعوا الخبر يصلون إلى هناك وهم يبكون ويلطمون على رؤوسهم وصدورهم.

وفي الوقت الذي كان يقف جعفر في الفناء كان الجنود يذهبون إليه واحداً بعد الآخر ويقدمون له التهاني بمناسبة توليه الإمامة بعد الإمام العسكري وكان «جعفر» يحرص على أن يظهر بمظهر المتألم وغير المرتاح. وفي هذه الأثناء كان «أبو الأديان» قد وصل عائداً من سفره. ولما علم بالنبأ حزن حزناً شديداً وانهمرت دموعه على وجهه.

وضعنا الجسد الطاهر باتجاه القبلة. ووقف جعفر مقابل الجثمان واستعد لإقامة الصلاة. أخذ كل من كان في فناء الدار مكانه خلف جعفر في صف طويل.. وما أن رفع يديه لكي يكبِّر تكبيرة الإحرام. حتى اعترضه طفل جميل مُشرق الوجه وأخذ باطراف ثيابه وسحبها وهو يقول: «تنحَّ يا عم! أنا أولى منك بالصلاة على أبي».

أما جعفر فقد بهت وامتقع لونه، وتجمد جسمه فأصبح كالخشبة اليابسة وتسمّر في مكانه ثم تنحى من حيث لا يشعر. سأله أحد الجنود قائلاً: «من هذا الطفل؟» أجابه جعفر وهو يرتجف مرعوباً: «من أين لي أن أعرف».

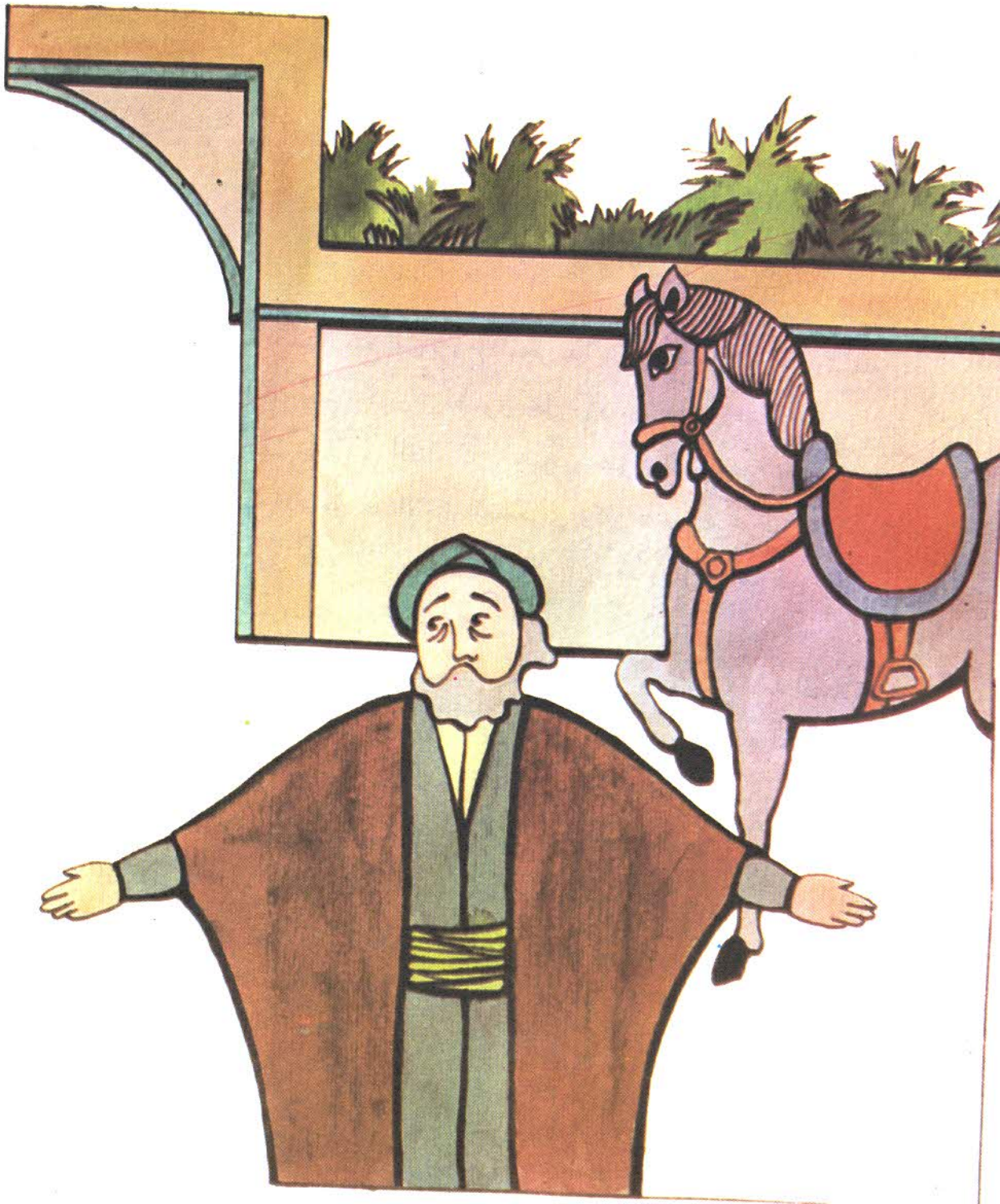

كنت أدري من هو هذا الطفل: إنه المهدي الموعود إمام الشيعة الثاني عشر. عندها كدت أطير فرحاً.

قال لي المهدي بعد انتهاء الصلاة: «قل لأبي الأديان أن يأتيني بأجوبة الرسائل».

ذهبت فوراً إلى أبي الأديان وأبلغته بطلب الإمام المهدي. دهش الرجل وحار بالأمر كما دُهش كل من كان حاضراً. وقد تجمَّد الجنود في أماكنهم.

وبينما الجميع كذلك كان الإمام المهدي يمر من أمامهم ليذهب إلى الغرفة. بعد لحظات قليلة تبعه الجنود وأخذوا يقلّبون كل ما في البيت بحثاً عنه دون جدوى. فقد اختفى الإمام ولم يعثروا عليه.

ثم نقلنا جُثمان الإمام إلى ساحة المدينة الكبرى وعندها كانت الشمس قد بدأت تنشر أشعتها الذهبية على سطح الأرض. وقد انتشر الخبر في أرجاء المدينة وتعطَّلت الحياة فيها تماماً. اتجه الناس جميعاً إلى الساحة وهم يبكون يخيم عليهم الغم والحزن بفقد الإمام. لم تر «سامراء» في تاريخها الطويل مثل هذا التجمع. كنت أنا وأبو الأديان قد اتخذنا مكاناً آخر إلى جانب الإمام المهدي وكان بعض الشيعة قد جاءوا ليشرحوا ما جرى في المدينة.

لقـد جاء هؤلاء الشيعة من إيران يحملون كيسا معهم. وقد أخبرهم الإمام بعلامات الأشياء الموجودة داخل الكيس ومشخصاتها. تعجب هؤلاء مما شاهدوه من علم الإمام بالغيب ثم قدَّموا له الكيس وخرجوا بعد أن قبَّلوا يده.

خرج أبو الأديان من عند الإمام بعد أن سلَّمه أجوبة رسائل أهل المدائن وهو حزين لفقد الإمام العسكري، لكنه مسرور بزيارة الإمام المهدي.

فبينما كانت الدموع تترقرق في عينيه كانت الإبتسامة تطفح على شفتيه.

وهنا تذكر الوعد الإلهي: ﴿**ويأبى الله إلاّ أن يُتمَ نُورهِ ولو كرِهَ الكافرون**﴾[1].

---

(١) التوبة ٣٢.